بسم الله الرحمن الرحيم

" من أبرق الرغامه إلي بيت نصيف "

في العام ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، كانت الإحتفالية الأهم في تاريخ مملكتنا الحديث، مناسبة الذكرى المئوية لمسيرة التوحيد. وكان لي شرف المساهمة بتنظيم معرض " مجموعة التوحيد "، الذي أقيم في " بيت نصيف "، وهذه رحلتي مع المجموعة والمعرض.

في إحدى الليالي من عام١٩٨٢م، وأنا أسير مع أخي طارق علي رضا، بالحي القديم بمدينة جنيف سويسرا، حيث توجد الكثير من المعارض الفنية، صدفة لفت انتباهنا لوحه في واجهة أحد المعارض، شدتنا بمنارتها التي أحسسنا أنها جزء منا ونحن منها، وكأنه ينبعث منها صوتاً يدعونا إليها. وهذه هي القيمة الفنية التي يعكس فيها ألفنان مشاعره لتؤثر على أحاسيس المتلقي.

سألنا صاحبة المعرض عن لوحة المئذنة !! من هو الفنان؟ وأين رسمها؟ فأخبرتنا أنه فنان أمريكي إسمه (جيرهارت ليبمان)، من نيويورك، ولا تعلم الكثيرعن اللوحة، طلبنا منها وسيلة للتواصل وحصلنا على رقم هاتفه، وتمكنا من مهاتفته، ورحب بِنَا كثيراً، وكان متشوقاً للعودة إلى المملكة.

أخبرنا الفنان ليبمان، أنه دخل المملكة العربية السعودية من اليمن في عام ١٩٦٤م، وتوجه إلى الطائف وصور مناظرها، ورسم تلك اللوحة لأحد مساجدها وهي لمنارة مسجد العباس الشهير. ولكونه دخل البلاد بطريقة غير نظامية، فتم توقيفه، وتسفيره. ولمعرفتنا بسلامة نيته، وعشقه لتاريخ وتراث المملكة رحبنا به، ووجهنا له دعوة لزيارتنا في المملكة وناقشنا معه إمكانية قيامه برسم لوحات فنية لبعض المعالم في عدد من مناطق المملكة.

بدأت رحلتنا مع " مجموعة التوحيد " بعد قدوم الرسام ليبمان والاتفاق معه على رسم مجموعة من اللوحات لمناطق مختلفة من المملكة بهدف تدوين الجمال، والتاريخ العظيم الذي من به المولي على هذه الأرض المباركة.

بدأنا رحلتنا الأولي مع الفنان من الطائف، حيث كانت صدفة جميلة بما أن الطائف كانت نقطة التلاقي الروحاني الأول، وما أجمل صدف الحياة حين يجمعها هدف نبيل، ليدون في مسيرة الإنسان، عطاء يطرزه الفن ليدوم ويبقي. بدأنا متكلين علي الله من الطائف إلى الباحة ثم عسير وعدنا إلى جدة عن طريق القنفدة والليث.

عاد الفنان إلى مقر إقامته في نيويورك، ليبدأ بتحويل إنطباعاته التي دونها بالصورة والرسم التخطيطي (السكتش) من المناطق التي زرناها، إلى لوحات فنية تعكس أحاسيسه تجاه ما شاهد ولمس وتخيل. بعد عدة أشهر من دراسته لما شاهد، وبعد تواصلنا معه، ومناقشة مواضيع اللوحات، أرسل لنا عدة تخيلات لتوجهه في التعبير باللون والريشة عن أحاسيسه تجاه ما شاهد من جمال أودعه المولى في أرضنا المباركة.

قدم جيرهارت إلى المملكة، وكان هناك توجه جديد، بعد الاجتماع مع مسئولي الأثار، فقد أثرى المشروع الأخ الدكتور عبد الله المصري، المسئول عن إدارة الاثار والمتاحف التابعة لوزارة التربية والتعليم آنذاك. فبعد إجتماعنا قررنا إختيار أهم المواقع الأثرية، في أنحاء المملكة، وبدأت الرحلات من الجنوب إلي الشمال، ومن الغرب إلى الشرق لتسع سنوات أنجز فيها الرسام ما يقارب الستين لوحة.

مرت الأيام وتوالت الرحلات، واتصلنا بالعديد من الفنانين السعوديين، حيث كان هدفنا ولازال أن يشارك فنان من كل منطقة بمحاكات إبداع الفنان الأمريكي بلوحات مماثلة وبريشة محلية، كما قمنا والسيد جيرهارت في ذلك الوقت بالتواصل مع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، حيث كان التخطيط لتطوير مطار الرياض القديم ليكون منتزه ومركز حضاري وثقافي للرياض، وتقدمنا مع الفنان بتصميم لفكرة إقامة متحف للفنون المعاصرة، ولأزلنا نأمل بذلك.

في عام ١٩٩٣م، مرض الفنان جيرهارت ليبمان وتوفي في نيويورك، وتوقف المشروع وكانت حصيلة مسيرتنا معه ما يقارب الستين لوحة غطي بها معظم مناطق الوطن الحبيب. ومرت عدة سنوات إلى أن أيقظت دعوة الإحتفالية بالمئوية رسالة " مجموعة التوحيد " لتحيي عمل فنان غربي آمن، وأحب وصدق في عطائه لوطن يستحق كل العطاء.

رفعنا بمقترح إلى مقام سيدي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز ـ أعانه المولي ورعاه ـ عندما كان أميراً لمنطقة الرياض والمسؤول الأول عن الإحتفالية، بأن نتولى تنظيم معرض " مجموعة التوحيد " في حصن المصمك التاريخي، حيث هو المعلم الشاهد علي بداية مسيرة التوحيد، فكانت بداية الحوار مع المسؤلين عن تنظيم الإحتفالية في بهو المصمك، غير أنه ولأسباب فنية وتقنية، برّروا عدم إمكانية عرضه لأنه قد تم ترميم حصن المصمك وربما ان عرض اللوحات سيؤثر على الترميم، ولتعارضه مع فعاليات أخري، لم نتمكن من الحصول على موافقة لتنظيم المعرض.

في هذه الأثناء، ومع تصميمنا أن هذا المشروع قد قدّر له أن يكون جزء من رسالة المئوية تمت الإستعانة بالفنان المصور البرازيلي (أمبيرتو ديسلفييرا) أن

يقتفي أثر الفنان جيرهارت للمواقع التي زارها ورسمها، ليوثقها بالصورة الفوتوغرافية، وباللون الأسود والأبيض، فكانت المحصلة هي الحقيقة والخيال .

إكتملت فكرة العرض، وكان إصرارنا على ربط هذا الحدث بالمؤسس العظيم، الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ حيث لم نتمكن من ربطها وإقامتها بموقع بداية التوحيد، فكان موقع نهاية التوحيد هو من احتضن تنظيم معرض "مجموعة التوحيد" ، تقديراً ووفاءً للوطن بتلك المناسبة.

وهنا تبدأ قصة العرض لمعرض " مجموعة التوحيد" ، بعد أن تقدمت إلي سيدي الأمير ماجد بن عبدالعزيز ـ أمير منطقة مكة المكرمة ـ رحمه المولى رحمة واسعة ـ ورحب بأن تحتضن منطقة مكة المكرمة هذا المعرض بمناسبة المئوية، فوجهنا لزيارة مركز الملك عبدالعزيز بأبرق الرغامة، وكانت فكرة العرض في هذا الموقع فكرة مميزة لأن هذا الموقع رمزاً ومعلماً لنهاية توحيد المملكة العربية السعودية، فهنا ربما يسجل التاريخ اخر إنتصار للحصان كقوّة، ضد قوة الحصان، حيث كان الملك عبد العزيز محاصراً لمدينة جدة، بخيله، وجماله، ضد قوة الشريف بمدرعاته وطائراته. وهنا كانت آخر معركة حيث سل الموحد سيفه محارباً الجهل، والفقر، والمرض، ولم يُغمد على يد أبنائه إلى يومنا هذا.

لم نتمكن من إقامة المعرض في أبرق الرغامة، لعدم إكتمال المبنى، والتجهيزات، ولم يكن هناك وقت كاف لإكمالها، فكان اختيار " بيت نصيف " هو قدرنا، وما أجمله من قدر. بيت نصيف احتضن المؤسس العظيم، حيث ذكريات جمع الكلمة، وتوحيد البلاد، وإكتمال مسيرة التوحيد .

أخذنا زمام المبادرة، وبتعاون نخبة من الأصدقاء ومحبي التراث، بترميم بيت نصيف، وأكملنا التجهيزات المناسبة لتجعل من البيت التاريخي مكاناً مناسباً لمعرض فني على درجة عالية من التحضير، والإخراج الذي يشهده المكان لأول مرة، واستقبال الزائرين وراحتهم .

كان يوم ١١ /١٠ /١٤١٩هـ يوم بقي وسيبقى في ذاكرة "أصدقاء التراث"، حين شرفنا المغفور له بإذن الله الأمير ماجد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة في تلك الأمسية الجميلة بافتتاح " معرض التوحيد" ، ببيت نصيف، وبقيت هذه المناسبة تجمعنا أصدقاء وأحباء، مخلدين ذكراها في بيت نصيف، بيت التاريخ والتراث في كل عام منذ إفتتاح المعرض في ذلك التاريخ، ونلتقي منذ ذلك الحين، وفي كل رمضان، نتناول طعام الإفطار على سطح المنزل والإستمتاع بسماع مؤذني مساجد جدة التاريخية يرفعون نداء الحق من جميع الزوايا مرددين الله أكبر الله أكبر .

وفي هذه السنة التي توافق الذكري العشرين لتنظيم "معرض التوحيد" وبإذن الله وتوفيقه وبمبادرة لجمع " أصدقاء التراث " بالتعاون مع " ليان الثقافية " نتشرف بعرض كتاب التوحيد، الذي يجمع بين دفتيه لوحات وصور "معرض التوحيد"، وبتبنيها طباعة نسخة جديدة ـ محدثة ـ من الكتاب بمناسبة مرور عشرين عام على معرض "التوحيد"، وسوف يذكر "أصدقاء التراث"، تلك المناسبة الجميلة، وبإذن الله سيستمر هذا اللقاء السنوي في شهر رمضان المبارك، في رحاب بيت نصيف وفي قلب جدة التاريخية.

جدة هي من شرفتنا بعبق تاريخها، وحققت تلك المعاني السامية في إبراز تراثنا وحضارتنا، جدة هي من جمعتنا بحبها، وقربتنا كأصدقاء، وزملاء، وجدة هي نافذة، بل بوابة لإحياء ثقافتنا وإبراز رسالتنا إلى العالمين .

فيصل بن عبدالله بن محمد آل سعود

اعتذار

كتبت هذا المقال لنشره قبل لقائنا في بيت نصيف ككل عام، ولعرض كتاب التوحيد بمناسبة مرور عشرين عام على معرض "التوحيد"، لكني أعتذر للإخوة الزملاء والأحباء "أصدقاء التراث" لعدم تمكننا من اللقاء لأسباب خارجة عن الإرادة، تتعلق بالمنطقة التاريخية. (لطفاً إفتح رمز الاستجابة السريع "QR")